الباب العاشر
في كراماته

قال خالد بنُ عبد الله الطحان: رأيت شيخًا بواسط يُدعى بمولى[1] أبي حنيفة رضي الله عنه، قال: فسألتُ عن سببِ ذلك، قال: ماتتْ أُمّي، وأنا في بطنها، فلمّا جرَّدوها للغُسل، حينئذ كنتُ تحرَّكتُ في بطنها، فاستُفتي أبو حنيفة بأنَّ ولدَ الميِّت يَضطربُ في بطنها. فقال: شقُّوا بطنها من جانبِ الأيسر؛ لأنَّ حوّاءَ خُلقتْ من الضلع الأيسر. فشقُّوها، فأخرجوني، فعمَّرني الله تعالى إلى هذه المدة بفتوى الإمام، ولم تكن هذه الحادثة قبلي، ولهذا سُمّيت بمولى أبي حنيفة رضي الله عنه، أي معتقه، وفي رواية بحيٍّ أبي حنيفة رحمه الله.

* **ومن كراماته** ما قال في «فتاوى الخلاصة»: جاءتِ امرأةٌ إلى أبي حنيفة، وقالت: يا أبا حنيفة، ماتَ أخي، وترك ستمئة دينار، واقتسموا التركة، وما دفعوا إليَّ إلاّ دينارًا واحدًا منها. قال الإمام: من قَسَمَ التركة؟ قالت: داود الطائي. فقال الإمامُ على الفور: ولعلَّ أخاك تركَ بنتين، وامرأة، وأمًّا، واثني عشر أخًا، وأختًا واحدة؟ فقالت: نعم. قال: قد قسموا بالحقِّ؛ لأنَّ أصلَ المسألة أربعة وعشرون، والتَّصحيح من ستمئة، ونصيبك دينارٌ واحد[2].

---

(١) في الأصل: بولي. وانظر تتمة الخبر.

(٢) تُسمّى هذه المسألة عند الفقهاء بالدينارية، أو الدينارية الكبرى، عزيت إلى علي بن أبي طالب في المبدع ٦/ ١٥٢، وروضة الطالبين ٦/ ٩١، وعزيت إلى المأمون كما في المنتظم ١٠/ ٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٧.

والقسمة كما ذكرت في الطيوريات صفحة ٧٤٩، قال الشعبي عن المتوفّى: هذا توفّي فترك ابنتين فلهما الثلثان أربعمئة، وأُمًّا فلها السُّدس مئة، وزوجة فلها الثمن خمسٌ وسبعون، واثني عشر أخًا فلهم أربعة وعشرون، وبقي لهذه دينار.

* ومنها: ما رُوي أنَّ الخَضِر عليه السلام اختلفَ في حياته على أبي حنيفة رضي الله عنه، وتعلَّمَ العلومَ الشرعية خمسًا وعشرين سنة، فلمَّا تُوفِّي كان الخضر عليه السلام يُناجي ربَّه: إلى أيِّ عالمٍ أختلفُ في تعلّم شرع رسولك على الكامل[1]؟ فنُودي: اذهب إلى قبرِ سراج الأمة. وكان يأتي كلَّ يومٍ على قبره يتعلَّمُ منه خمسًا وعشرين سنة، فلمّا كان مدَّةُ تعلّمه خمسين سنة، حفظَ جميع المسائل الشرعية المحمَّدية، وطوى دفتره. وكفى به وبنا فضلاً على مَنْ غيرنا حيثُ علّمَ الخضر عليه السلام صاحبَ التَّورية موسى صلوات الله على نبينا وعليه، وتعلّم من عالم علماء أمة محمد عليه الصلاةُ والسلام، تأمّلْ بما فيه

* ومنها: ما قال الشافعي: قال: كنتُ أتبرَّكُ بزيارة مرقد أبي حنيفة، إذا عُرضَ عليَّ مسألةٌ مُشكلةٌ، ولم أنهزْ لها دليلاً، كنت أزورُ مضجعَهُ، وأُصلّي ركعتين، وأسألُ الله تعالى، وأَتوسَّلُ به فيها، فتنجلي عليَّ بإذنِ الله تعالى، فكأنَّه يُخاطبني في مهجعه.

* ومنها ما قال أبو يوسف: لما احتُضر الإمامُ، وأنا على وسادته، وهو يحرِّكُ شفتيه، قال: فوضعتُ أُذني في فمِهِ يقول: لبنُ الوطواط[2] كمنيِّ الرجل. قال: لما سمعتُهُ طارَ روحُهُ إلى أعلى العلّيين، وهو آخر قوله، فاشتبَه الحالُ عليَّ حيث كان آخرُ قولِهِ غيرَ كلمة الشهادة، فلمّا دُفن أَتى آتٍ من طرف الخليفة أبي جعفر يَستفتي بأنَّه قد وجِدَ في قرامِ أهلِ بيته منيُّ الرجل، وغضبَ على أهل حرمه، وحبسهم يُريدُ سفكَ دماءِ نفوسٍ كثيرةٍ من الرجال والنساء،

---

(١) في (ب): على الكمال.

(٢) جاء في هامش (ب) ما نصه: وقيل في الخفاش: أعاقب كثيرة، يبكي ويضحك، ويَلد ويُرضع، ويطير من غير ريش، وله سنٌّ، ولا يُبصر في ظلمة الليل، ولا في بياض النهار، ويبصر بين ذلك.

فلم يقدرْ أحدٌ أن يُجيبه؛ إذ لم يُر مثلُهُ في الكتب، فقال أبو يوسف في نفسه: لعلَّ في آخرِ قول الإمام تعليمًا لنا بمسألةٍ تقع بعدُ، ليدفعَ بها التُّهمةَ عن أعراضِ المُحصنين والمُحصنات الغافلات، وسفك دماء الأمناء والأمينات، فأمر أبو يوسف أن يتجسسوا في قصر النساء، فوجدوا ثمَّةَ وطواطًا مُعلّقًا حذاء فراشهن، فأفتى ببراءتهنَّ عن التهمة، فسلموا عن انهراق دمائهم بالظنِّ. ألا فدلَّ ذلك على كرامة الإمام، حيث خلّصَ نفوسًا كثيرةً من الهلاك بالافتراء.

* ومنها: ما رُوي أن واحدًا من حسَّادِ الإمام دعاه وأصحابَهُ إلى ضيافةٍ، فجلسوا في روضةٍ عند نهرٍ، ولمّا وضعتِ المائدةُ بين أيديهم، قال لأصحابه: قوموا نتوضَّأ وضوءَ الطعام. فلما اشتغلوا بغسل اليد، جاءت هرَّةٌ، وأكلت من الطعام، فماتتْ في الحال، فعلموا أنَّه مسمومة، فتفرّقوا، وسلّموا بكرامة الإمام

* ومنها: ما روي أن دهريًا جاء بعراق في عصر حماد بن أبي سليمان أستاذ أبي حنيفة رحمه الله وغلب علماء الأمصار في عصره، قيل له: لو غلبت حماد بن أبي سليمان لثبّتَّ مذهب الدَّهريِّ[1] في وجه الأرض. فحضر عند الخليفة، وقال: يا أميرَ المؤمنين، جئتُ لأُباحثَ لعلمائك[2]، بشرط إنْ غلبوا عليَّ أُتابعُ دينهم، وإن غلبتُ عليهم تبعوا ملّتي. وقام الدهريُّ، فشاور بمن عنده، فقالوا: لا نعرف في ديارنا من يُباحث بهذا الظالم غير حماد. فأرسلَ إليه الخليفة كتابًا، وقال: يا مولانا، قد جاء عالمٌ دهريٌّ يُريدُ أن يُباحثَ بالعلماء، وله دعوًى عظيمةٌ، وجراءةٌ جسيمة، فلم نعتمدْ أحدًا غيرك، وتهيَّأ وتوكَّلْ على الله تعالى، واحضرْ عندنا بكرة يوم كذا، فاجتهدْ واجمعْ همَّتَكَ، واصرفْ

---

(١) جاء هامش (ب) ما نصه: والدهري: طائفة من الملاحدة الذين نسبوا الكونين إلى الدهر، أي: إلى مقتضى الزمان، ويقولون بقِدَمِ العالم، وباستغنائه عن المؤثر والموجد. المختار.

(٢) في (ب): لأباحث في علمائك.

قدرتَكَ، وأنا أرجو بعون ربّنا، وشفاعة نبيِّنا ﷺ أن تصرعَهُ في عرضة المباحثة، وترفعَ ألويةَ الإسلام وغيرته.

فلمَّا أصبحَ جاءَ أبو حنيفة رحمه الله إلى أستاذه حماد، وهو في حداثة سنِّهِ، ورأى أستاذَهُ مَغمومًا، فسأل عن سببِ غمِّه، فقال: أرسل الخليفةُ إليَّ كتابًا بأنَّه جاء دهريٌّ مَشهورٌ في الآفاق باللدِّ واللَّجاج، وقد أَفحمَ علماء العصر في الأطراف[1]، ومع ذلك رأيتُ البارحةَ رؤيا مخوفةً[2]، وأنا في سنٍّ كبيرٍ، وضعف بدنٍ، فسأل الإمامُ عنها، قال حماد: رأيتُ دارًا واسعة مزيَّنةً، ورأيتُ فيها شجرةً فائقة مثمرةً، فبينما ذلك قد خرج خنزيرٌ من زاوية البيت، وطَفِقَ يأكلُ الثمرةَ والشجرة، حتى بقي أصلُ الشجرة، إذ ظهر شبلٌ، فوثبَ ومزَّقَ الخنزير، فقال نعمان: يا أستاذ، هذه الرؤيا خيرٌ لنا، وسوءٌ لأعدائنا، فلو أَذنتَ لي لأُعبِّرَها. فقال: عبّر يا نعمان ما لاحَ لك. قال: الدارُ الواسعةُ الإسلام، والشجرةُ المثمرةُ العلماء، وأصلُ الشجرة أنت، والخِنزير الدَّهريُّ، والشبلُ الذي أَهلَكُه أنا بهمَّتك، فلا تُبالِ، اذهبْ أنتَ وأنا معك، فببركة حضورك، إنْ أَذنتَ لي أتكلَّمُ معه، فبعون الله تعالى، وحسنِ ظنِّك أُلزمُهُ وأُهلكُه. ففرح حمّاد، ودعا له.

فقاما وسلكا حتى بلغا المجلسَ في الجامع، فجلس حمادٌ في المحراب، والخليفةُ والدَّهريُّ في ناحيةٍ، واجتمع الناسُ، والعلماءُ جالسون، والنعمانُ قائمٌ بحذاء حماد عند المنبر، آخذًا نعلَ أستاذه، فصعدَ الدهريُّ المنبرَ، فقال: من يتكلَّمُ لي، فليقدمْ بمواجهتي؟ فجلس النعمان في مقامه، وقال: ما هذه الحكومة، سل للحاضرين بمقتضى مقامك، فمن يَعلمُهُ يُجيبُكَ. قال الدهريُّ: فمن أنتَ يا صبيُّ حتَّى تتكلَّمَ بين ذوي السنِّ الكبير، والعلماء الخطير،

---

(١) في (أ): علماء مصر في الأطراف.

(٢) في (أ): رؤيا مخفوفة.

والعمامة العظيمة، وأصحاب الثياب الفاخرة، والأكمام الواسعة؟! قال نعمان رضي الله عنه: ما وضعَ اللهُ العزَّ والمعرفة للعِمامةِ والثيابِ والأكمام؛ ولكنْ وضعَها للعلماءِ العظام، وفضلاءِ الإسلام، ثم يا دهريُّ، لا ينبغي لكبراء السنِّ والعلماء العظام وفضلاء الإسلام أن يواجهوك[1] ويخاطبوك بدءًا إلا بعد أن تغلبَ أصاغرَهم وأدانيَهُمْ، ثم تبارز كماتهم وأعاليهم. فقال الدهريُّ: هل تقدرُ أن تُجيبني وتُقابلني يا غلام؟ قال: نعم، بعون اللهِ، وبهمَّة أساتيذي. فقال الدهري: هل للعالم صانعٌ مؤثّرٌ؟ قال رضي الله عنه: نعم. قال: فأين هو؟ قال رضي الله عنه: لا مكانَ له. قال: فمن لا مكانَ له، كيف يكونُ موجودًا؟ قال نعمان: هل في بدنكَ روحٌ؟ قال: نعم. قال: فأين مكانه، أهو في رأسك، أو صدرك، أو في أيّ عضوٍ من أعضائك؟ فتحيَّرَ الدهريُّ، فقال نعمان: كما لم يوجدْ في البدن للرُّوح مكانٌ معيَّنٌ، كذلك للصانعِ في العالم[2].

ثم دعا نعمانُ لبنًا في قصعةٍ، فأُتي بها، فقال: هل في اللبن سمن؟ قال: نعم. قال: فأين سمنُهُ؟ فتحيَّرَ الدَّهريُّ، قال: كذلك ليسَ للهِ تعالى في العالم مكانٌ معيَّنٌ.

ثم قال الدهريُّ: أَخبرني بما كان قبلَ الله تعالى، وما يكونُ بعده. فقال: لا شيءَ قبلَهُ ولا بعده. قال: كيف يتصوَّرُ ذلك في الوجودِ، وهل له مثالٌ في الخارج؟ قال نعمان: نعم. قال: في يديك[3] أَصابعُ، أَخبرني فما قبلَ إبهامِك، وما بعد خِنصرك، وهو الأول والآخر.

ثم مضى ما مضى من أَسئلة الدهريِّ، وأَجوبةِ نعمان رضي الله عنه لا يليقُ تفصيلُهُ وتعديده[4]. ثم قال الدهريُّ: بقي سؤالٌ، أخبرني: إن الله تعالى على

---

(١) في (أ): ولكن وضعها للعلماء العظام وفضلاء الإسلام أن يواجهوك.

(٢) في (ب): كذلك في الصانع للعالم مكان.

(٣) في (ب): قال: أرني، في يديك.

(٤) في (أ): تفصيله وتصديقه.

أيَّ شأنٍ في هذه الساعة؟ قال: انزلْ تحت المنبرِ حتَّى أُجيبَ. فنزلَ، فصعد الإمام، وأعادَ الدهريُّ سؤاله، فقال نعمان رضي الله عنه: إنَّ شأنَهَ تعالى في هذه الساعةِ إسقاطُ المُبطل مثلك من الأعلى إلى الأسفل، ورفعُ المحقّ مثلي من الأسفل إلى الأعلى. فبُهتَ الدهريُّ، وضحك الناسُ بكونه مَغلوبًا وحقيرًا، وتلجلجَ لسانُه، فكلّفَهُ الخليفةُ على إيفاءِ شرطِهِ، ووعدَهُ بالعُنف، فتابَ الدَّهريُّ، وتبرَّأَ عن دينه، وقَبِلَ دَينَ محمد ﷺ. فحمد حمّادُ، وشكر الحاضرون، ودعوا النعمان، وأثنوا عليه ثناءً عظيمًا، ثم اشتهر فضلُهُ في الآفاق، ثم راجعوا إليه في الأمورِ العظيمة، والمسائل العضيلة[1].

* ومنها: ما قال في «شرح الوقاية» الموسوم بـ«مصنفك»: إنَّ أبا حنيفة رحمه الله جَالس بأصحابه، فجاء أعرابيٌّ وقال: يرحمك الله يا أبا حنيفة، أبواوٍ، أم بواوين؟ فأجاب الإمام وقال: بواوَيْنِ. فقال الأعرابيُّ: بارك فيك كما بورك في (لا) و(لا). وخرج، ولم يفهمْ أحدٌ سؤالَ الأعرابي، ولا جوابَ الإمام، فسألوه عمّا قال، وعمَّا أجاب. قال الإمام: سألني عن التَّشهُّدِ أبواوٍ كتشهّدِ ابن عباس، وهو ما اختاره الشافعيُّ رضي الله عنه بعده، أم بواوين كتشهّدِ ابن مسعود رضي الله عنه، فأجبتُهُ بمُختارنا، فدعاني بالبركة كما بُورك في ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] فقوله بواوين في آخر التشهد وهو قوله: «أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» على رواية ابن مسعود، بخلاف تشهّد ابن عباس رضي الله عنه، فإن الواو فيه هو الآخر فقط، حيث قال «وأشهد أن محمدًا رسول الله» انتهى

وقال في «الحقائق»: وما قرأ الشافعيُّ رحمه الله بواوٍ واحد تشهّد أبي موسى الأشعري بدل ابن عباس رضي الله عنه.

* * *

---

(١) في (أ): والمسائل الفضيلة.